صفات القادة الدينـــيين
ودورهم فى نشر ثقافة السلام

الشيخ الدكتور / عبد اللطيف دريان

مفتى الجمهورية اللبنانية

لبنان

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فإن الإسلام دين الرحمة ودين السلام، وقد قال الله تعالى فى حق النبى محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١)، وقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾(٢)، وتحية المسلمين: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " تحية تبعث الطمأنينة وتعطى الأمان وتنشر السكينة بين الناس، كما أن من مقاصد وحكمة بعثة الأنبياء والمرسلين النهوض بالبشرية من براثن الأحقاد والكراهية إلى علياء الرحمة والحب والسلام .

وقد أقام الله العلماء والقادة الدينيين على مهمة الأنبياء والمرسلين بعد ختم الرسالة بسيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام، ليكون هؤلاء النخبة من العلماء والقادة الدينيين حاملى تلك الرسالة ومبلغى تلك الأمانة .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧.

(٢) البقرة : ٢٠٨.

ونحن اليوم نعيش أزمات كثيرة، فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية، أُغلقت بسببها مسارات الإنسانية المعاصرة وجنحت إلى أهوال شديدة الخطورة، ضاعت معها قيم الرحمة والعدالة الاجتماعية والأخلاق، وتشوهت بسببها صورة الإنسان الصافية القائمة على منهج عمارة الأرض والتآخى بين البشر .

فتتأكد اليوم هذه المسئولية الكبيرة على العلماء والقادة الدينيين لتجلية الصورة الحقيقية لثقافة الإسلام فى العالم، والتى هى أصل من أصول ديننا الإسلامى القائم على الرحمة والعفو؛ قال تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١).

بعض صفات القائد الدينى ومهمته فى نشر الخير والسلام

للقائد الدينى أوصاف وعلامات كثيرة يُعرف بها، أشار إلى بعضها الإمام الغزالى– رحمه الله – فى إحياء علوم الدين فقال :" خمس من الأخلاق هى من علامات علماء الآخرة ، مفهومة من خمس آيات من كتاب الله : "الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا؛ وهو الزهد".

فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾(٢).

وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾(٣).

وأما التواضع فمن قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤).

وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾(٥).

وأما الزهد فمن قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (٦).

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) آل عمران: ١٩٩ .

(٤) الحجر: ٨٨.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

(٦) القصص:٨٠ .

ويمكن إجمال صفات القائد الدينى فيما يلى:

أولاً : التواضع لله تعالى فى كل حال، وخصوصًا عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة، فالتواضع أكمل علامة للعلماء لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله ، وقد حصر الله خشيته فى العلماء؛ لأن شأن العالِم ألا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً؛ بل يرى نفسه أقل من كل شىء وهذا هو النظر التام .

ثانيًا : الحلم والأناة؛ لأنهما خصلتان يحبهما الله، وإذا تجرد منهما العالم هلك ، فالعجلة توقعه فى الخطأ، والحماقة تنفر منه الخلق والحق، فيكون ضارًّا، وقد يُبْتلى إذا لم يتصف بالحلم والأناة، ومن صور الابتلاء الإعجاب برأيه والتعصب له؛ فيجادل من خالفه ويؤيّد رأيه بالحجج ولو كان باطلاً .

ثالثًا : من أكمل صفات العلماء أن يُعلِّموا كل فريق من الناس ما لابد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها ، كما قيل:" لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ، ولا تعلموها غير أهلها فتظلموها " ، ومن علَّم الحكمة لغير أهلها فتح على نفسه بابًا من الشر وعلى المسلمين بابًا من الفتنة، فالعالِم الربانى يُعلِّم الناس على قدر عقولهم ويداريهم كما قال رسول الله ﷺ : " **كلِّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟!!** ".

رابعًا : السكينة والرحمة؛ فإن السكينة دليل على التمكين وبرهان على الرسوخ فى العلم، والرحمة هى من أخص صفات العلماء بحكم الوراثة عن رسول الله ﷺ ، وأجمل صفاته صلوات الله وسلامه عليه ما أثبتها الله تعالى له بقوله: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

وقد قدَّم الله عز شأنه الرحمة على العلم فى الإيتاء للعالم الربانى، فقال سبحانه: ﴿ **ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾(٢).

خامسًا : إن أجلّ علامة للعلماء الربانيين العمل بالعلم فى السر والجهر خشية لله، والأخذ بالعزائم ولو كان فى ذلك ما تكرهه نفوسهم أو تتألم منه أبدانهم؛ إرضاء لله، ولا يأخذون بالرخص من غير أسبابها؛ وذلك لكمال اقتدائهم برسول الله ﷺ، فقد كان فيما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه يأخذ نفسه بالأشد ويأمر غيره بالأيسر؛ ولذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم يقتدون بفعاله قبل أقواله؛ لأن الاقتداء بأفعاله عزيمة.

---

(١) التوبة : ١٢٨.

(٢) الكهف : ٦٥.

سادسًا : التحفظ من أن يرى رأيًا فيحكم به من غير أن يتثبت من أنه حكم الله وحكم رسوله ﷺ، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير أو شبيه من أعمال السلف رضوان الله عليهم.

سابعًا : الاجتهاد فى سدّ باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضر ولا ينفع ، وهو الأمر الذى سبَّب فُرقة المسلمين وأوقع العداوة والشحناء بينهم، وجعل غير المسلمين يظنّون أن دين الإسلام مؤسس على التعصب لأشياء لا حقائق لها .

ولا ينبغى فتح باب الفتن؛ بالتكلم فيما سكت الله عنه وسكت عنه الرسول ﷺ رحمةً بالمسلمين فلم يحرّمها، ولكننا نرى هؤلاء الذين تحصَّلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، ينصبّون بكليتهم على فتح أبواب الشُّبَه وشغل المسلمين بما يضر ولا ينفع، ناهيك عن الفظاظة فى الأخلاق، والغلظة فى الطباع، والسخف فى القول عند الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر، متذرعين بحجة أن هذا من الدين وأنه نصيحة، وأن هذه هى الطريقة الشرعية التى أمر الله بها، ويجهلون أنهم بذلك وقعوا فى المحظور، مثل مخالفة رسول الله ﷺ فى أخلاقه وسنته فى الدعوة ، وتنفير عباد الله وإيقاعهم فى بغض الدين وبغض أهله، وربما كان الذى يدعون إليه من الأمور المرغّب فيها خلاف الأولى، أو كان الذى ينهون عنه أيضًا خلاف الأولى.

ثامنًا : أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل:

عرفت الشَّرَّ لا للشَّرِّ لكــن لتوقِّيـــــــه
ومن لا يعرف الشَّرَّ من الناس يقع فيه.

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأعلاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان، وإنما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه، وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة .

ولقد كان الحسن البصرى – رحمه الله – أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم هديًا بالصحابة رضى الله عنهم ، وكان أكثر كلامه فى خواطر القلب وفساد الأعمال ووساوس النفس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: "خصَّنى به رسول الله ﷺ: كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وقال مرة : " فعلمت أن من لا يعرف الشَّر لا يعرف الخير ".

تاسعًا : أن يكون اعتماده فى علومه بعد تحصيل ما يلزم كما أشرنا آنفًا على حكمته وبصيرته وإدراكه بصفاء قلبه، لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وكان سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ يقول لأتباعه مادحًا أهل علوم الإلهام رضى الله عنهم أجمعين: "حدثونا بما فتح الله عليكم، لا بما نقلتموه عن غيركم" .

فإذا قلَّد العالم الرسول ﷺ فيما أَمر به وقاله فينبغى أن يكون حريصًا على فهم أسراره؛ فإن رسول الله ﷺ ما فعله إلا لسرّ فيه ، ولا يكون عالمًا إلا إذا كان شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإن اكتفى بحفظ ما يُقال كان وعاءً للعلم ولا يكون عالمًا.

عاشرًا : أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنَّه إطباق الخلق على ما أحدث بعض الصحابة ﷺ ، وليكن حريصًا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثر همهم، فقد كان ذلك فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة، ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان، إلى غير ذلك من علوم الباطن.

وما أجمل حديث التسترى ﷺعن العلماء العاملين والأولياء المحققين ومكانتهم حيث يقول: قال الله لآدم: يا آدم إنى أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلى وخاف غير عدلى لم يعرفني، يا آدم إن لى صفوة وضنائن وخيرة من عبادى أسكنتهم صلبك، بعينى من بين خلقى، أعزهم بعزى، وأقربهم من وصلى ، وأمنحهم كرامتى، وأبيح لهم فضلى، وأجعل قلوبهم خزائن كتبى، وأسترهم برحمتى، وأجعلهم أمانًا بين ظهرانى عبادى، فبهم أمطر السماء وبهم أنبت الأرض وبهم أصرف البلاء، هم أوليائى وأحبائى، درجاتهم عالية ومقاماتهم رفيعة وهممهم بى متعلقة، صحّت عزائمهم ودامت فى ملكوت غيبى فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكرى فسقيتهم محبتى، فطال شوقهم إلى لقائى وإنِّى إليهم أشد شوقًا، يا آدم من طلبنى من خلقى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى ثم طوبى لهم وحسن مآب، يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان على غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم على ".

وقال أيضًا: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام؛ "يا داود إذا رأيت لى طالبًا فكن له خادمًا، فكان داود يقول فى مزاميره: وَاهًا لهم، يا ليتنى عاينتهم، يا ليت خدّى موطأ نعلهم "، قال سهل بن عبد الله ذلك ثم اصفرَّ لونه وجعل يقول: " جعل الله نبيه وخليفته خادمًا لمن طلبه لو عقلت – وما أظنَّك تعقل – قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنمت قربهم ومجالستهم وبرَّهم وخدمتهم وتعاهدهم " .

نوعية المشاكل فى العصر الحديث :

كلما كانت الدعوة عظيمة وتدعو إلى أمر عظيم، كلما كانت المشكلات التى تواجهها أكبر والعقبات فى طريقها أكثر وأخطر، ويعتمد نجاح مثل هذه الدعوات على مدى قدرتها على حل تلك المشكلات ومواجهة تلك العقبات .

وليس شيء أعظم من الدعوة إلى الخير والسلام فى سبيل الله ؛ ولذلك كانت العوائق والعقبات فى طريقها أكبر من غيرها وأقوى، ونعنى بالعقبات والمشكلات هنا "مجموعة الأخطاء والمعوقات التى يقع فيها بعض القادة الدينيين أو يواجهونها فى طريق دعوتهم، سواء كانت داخلية أم خارجية".

أما العقبة الأولى: انتشار الجهل فى العالم.

أما العقبة الثانية: صلف أصحاب الدعوات المتطرفة والمتشددة من بعض الجماعات المنسوبة للإسلام وأصحاب العنصريات.

أما العقبة الثالثة: اغتصاب البلاد والاعتداء على الشعوب، والذى يمثل وجهًا صارخاً من الاعتداء على قيم الإنسانية والسلام.

أما العقبة الرابعة: الشحن الإعلامى الطائفى والمذهبى فى العالم.

تصور لطرق العلاج :

لا شك أن القادة الدينيين فى العالم عليهم واجب كبير فى نشر ثقافة السلام ومواجهة الصعوبات والتحديات التى تهدد مسار البشرية؛ لا سيما أنهم المؤهلون لإعطاء خطاب التوجيه والتسديد، كل من موقعه المؤثر وخطابه المعتبر. ويتمثل هذا الدور فى عدة خطوات :

أولاً: عقد المؤتمرات لتبادل الخبرات فى تأصيل الخطاب الداعى لثقافة السلام مع حفظ الثوابت والأصول، وتبادل المعلومات والإحصاءات عن التجارب التى تظهر حقيقة الواقع العالمى؛ لاختيار الخطاب الأنجع، ووضع خطط بعيدة الأجل إعلاميًّا وتربويًّا لنشر ثقافة الخير والسلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2].

ثانيًا : ضبط وسائل الإعلام وفق القوانين والأنظمة للحد من الخطاب الطائفى والمذهبى التحريضى، وبث روح الحوار والتلاقى والسلام .

ثالثًا : مناظرة أصحاب الأفكار المتشددة فى مفهوم السلام، ورد الشبه والإشكالات الفكرية التى تزرع الأحقاد بين الناس؛ من خلال المحاضرات والندوات والخطب واللقاءات الشبابيـــة.

رابعًا : إن ثقافة السلام التى نتكلم عنها هى من جذور مفهوم الإيمان؛ فعند المسلمين السلام شعار فى تحيتهم إذا التقوا، والسلام شعار فى صلاتهم إذا ختموها، والسلام اسم من أسماء المولى جل جلاله؛ فهو مشرب دقيق من مشارب الشخصية المؤمنة، وهنا يجب إبراز هذا الجانب إبرازًا واضحًا فى مناهجنا التعليمية والتثقيفية .

خامسًا : إن من دور القادة الدينيين فى نشر ثقافة السلام تحسين الظن فيما بينهم للعمل الجاد على إنقاذ الشعوب من براثن القتل والدم ؛ فالتطرف لم يعد محصورًا فى ملة أو عرق أو جماعة ، بل تسرب فى مختلف الأطياف الإنسانية والعقائد والملل بمختلف الصور والأشكال، فمبدأ تحسين الظن بين الأطراف العاقلة هو خطوة أولى لسد ذرائع جميع هؤلاء بمختلف أشكالهم وانتماءاتهم .

سادسًا : إبراز العلماء أصحاب الخطاب الدينى الصحيح الذين يحملون ثقافة السلام فى المواقع المؤثرة إعلاميًّا وتربويًّا وإعطاؤهم المساحة المطلوبة للتواصل مع الشباب المثقف فى العالم.

سابعًا : مواجهة الظلم بمختلف أشكاله سواء كان ظلمًا لدول أم لأفراد، سياسيًّا كان أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا، بالطرق المناسبة والقوانين المعتمدة عالميًّا؛ لأن نشر ثقافة السلام لا يتحقق إلا بكف الظلم، وكف القهر الاجتماعى والاقتصادى والتهجير الجماعى، فبمقدار الذى يتكلم فيه القادة الدينيون عن ثقافة السلام ينبغى عليهم أن يواجهوا ثقافة الظلم والعنف.

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ١١٠.

الخاتمة

إن ثقافة السلام هى ثقافة الإنسانية، فلا استمرار لهذا النسل البشرى الذى أمرنا الله عزّ وجلّ أن نحافظ عليه من خلال عمارة الأرض إلا بنشر ثقافة السلام، فلا معنى للحضارات إن لم تكن وليدة العدالة الاجتماعية، والتآخى الإنسانى، والسلام بين البشر، قال عز وجل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (١).

قال النبى ﷺ : " **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**".

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِى سِرْبِهِ، مُعَافًى فِى جَسَدِهِ ،عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**".

فليس السلام بكثرة المال ولا النفوذ ولا القوة المفرطة؛ إنما السلام بالحب والعدل والرحمة والشفقة، واستشعار حاجات المقهورين والمظلومين من الشعوب المغتصبة حقوقهم وأراضيهم، فالدور اليوم هو قول الكلمة الفصل فى استنقاذ الإنسانية من أتون النزعات الاستئصالية والعنصرية بكل عناوينها وأبعادها، ونشر ثقافة الخير بكل قوة وعزيمة، وتفويت الفرصة على المعاول الهدامة التى تضرب ليل نهار فى جسم الإنسانية المعاصرة تطرفًا وطمعًا وجشعًا واستغلالاً وقهرًا، قال تعالى:﴿ **لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (٢).

الخطاب اليوم هو خطاب المعروف والإصلاح بين الناس، وكف الظلم وسد الطريق على أصحاب الدعوات المتطرفة لأى جهة انتموا بكل الوسائل المتاحة.

---

(١) الحجرات :١٣.

(٢) النساء :١١٤.